آيات وقصة

القرآن يتحدى

أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

٥٥

رزق هيبه



أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

٥٥

القُـــرآن يَتحـــدى

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة.. وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتاب اللَّه «القرآن الكريم» تعرضُ القصصَ على حسَب ترتيب المصْحَف لتكوِّنَ فى النهاية «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريم للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إِلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيَهُمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعة الجَديدَة حَرصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا منْ شقَّيْنِ.. الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئِلَةٍ تَحْفزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعِيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئِلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنه، ويزيدَ عِلْماً بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرْجُوْهَا من نشْرِ هذِهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعدِ اللغَةِ العربيَّة «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارِئُ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَةِ السِّلْسلة إِلَى آخرِهَا يَصِيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعدِ النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئٍ أنْ يجهَلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأِ..

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَةِ نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدةٍ مزدوَجَةٍ، منْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعدِ لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نربِى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنائنَا القَادمة.. فنستعيدَ مجدَ الماضى عَلَى أسُسٍ منْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ.. ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ۝٧٤﴾ [الفرقان].



معانى الكلمات:

(٣٧) **أنْ يُفتَرَى**: الافتراءُ هُوَ الكذبُ، أىْ أنَّ هذَا القُرآنَ لا يمكنُ لأحَدٍ أنْ يأتِىَ بمثلهِ مِنْ عِندِ غَيرِ اللَّهِ ثُمَّ يَنْسبَهُ إِلَى اللَّهِ تعالَى؛ لأنَّهُ مُعْجزٌ.

تَصْديقَ الَّذى بَيْنَ يَديْه: القُرآنُ تَصْديقٌ للكُتُبِ السَّماوِيَّةِ الَّتى سَبَقَتْهُ، مثلِ التَّوراةِ والإنجيلِ، وَغيرِهِمَا مِنَ الكُتُبِ المقَدَّسَةِ، فَهِىَ قَدْ بَشَّرتْ بِهِ، فجَاءَ مُصَدِّقًا لَهَا.

لا رَيْبَ فِيه: لا شكَّ فِيه لأنَّه مُنزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

(٣٨) **أَمْ يقُولونَ افْتراهُ**: أيقُول المشْرِكُونَ أنَّ محمدًا اخْتَلَقَ هَذَا القُرآنَ مِنْ عندِهِ، وادَّعَى أنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

فَأتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه: السُّورةُ هِىَ القِطْعَةُ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، لَهَا بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ. تَشْبِيهًا لَهَا بالسُّورِ المرتَفعِ الَّذِى يَفْصِلَ الأبْنِيَة ويُحِيطُ بِهَا.

(١)

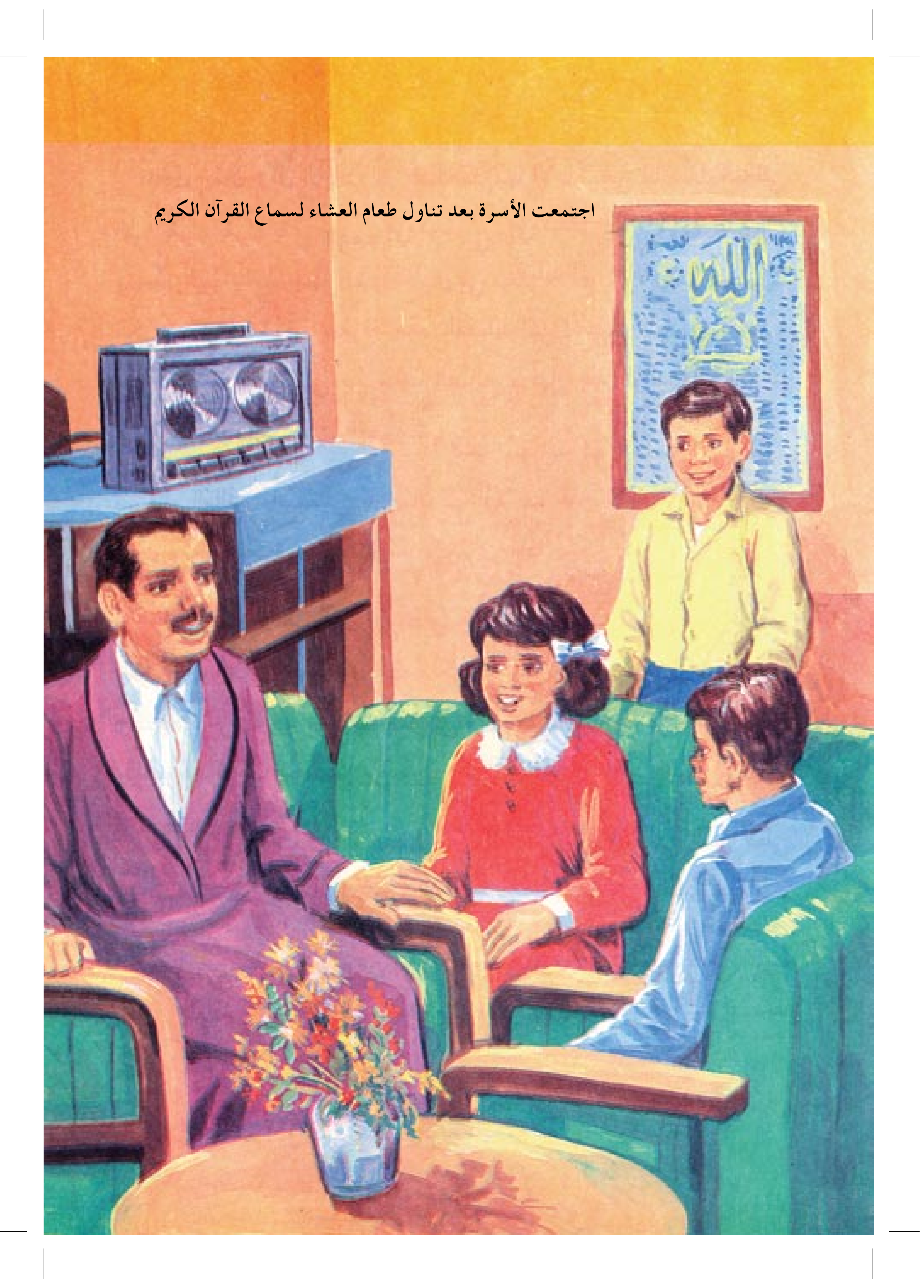
تَناولَت الأُسْرَةُ طَعَامَ العَشَاءِ، وَأتْبَعتْهُ بِبَعْضِ مَا أنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ الفَاكهةِ اللّذيذَةِ، والمشرُوبَاتِ البَارِدَةِ السَّائِغَةِ، وحَمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِى لا تُحصَى، ثُمَّ انْتَقَلُوا إلَى غُرفَةِ الجلُوسِ لِيَبدأُوا سَهرَتَهُم الإِيمَانِيَّةَ الَّتِى تَعَوَّدُوا عَلَيْهَا.

قَالَ أيمَنُ: إنَّ السَّاعةَ تُعلِنُ الثَّامِنَةَ، وهَذَا مَوْعِدُ تِلاوةِ القُرآنِ الكرِيمِ فِى سَهْرَةِ الإذَاعَةِ، وَحَبَّذَا لَوْ قَضَيْنَا هَذِهِ الفَتْرَةَ فِى الاستمَاعِ لمَا سيُتْلَى مِنْ قُرآنٍ، نبدأُ سَهرتِنَا مِنْ وَحْى ما نَسمَعُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وجلَست الأُسرةُ فِى خُشوعٍ وَإنْصَاتٍ إلَى أنِ انْتهَى القَارِئُ مِن تِلاوَتِهِ، وَختمهَا بِتِلْكَ الجمْلَةِ الَّتِى تعوَّدْنَا قَوْلَهَا وسَمَاعَهَا تَصْدِيقًا لمَا سَمِعْنَا أوْ تلوْنَا مِنْ آياتِ اللَّهِ «صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ».

قَالَتْ إيمَانُ: هَلْ هَذِهِ الجملَةُ مِنَ القُرآنِ الكرِيمِ؟

قالَ الوَالِدُ: لا.. هِىَ لَيْسَتْ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، ولَكنَّنَا تَعوَّدْنَا أنْ نَقُولَهَا فِى نِهَايَةِ التِّلاوَةِ تَصْدِيقًا لمَا سَمِعْنَا أوْ تلوْنَا، وَاعْترَافًا مِنَّا نَحْنُ المسْلِمِينَ بأنَّنَا مُصَدِّقُونَ بالقُرآنِ الكَرِيمِ، مُؤْمِنُونَ بأنَّهُ وَحْىٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إلَى نَبِيِّهِ محمدٍ ﷺ، وَأنَّنَا لا نُكَذِّبُه كمَا فعَل معَهُ المشْرِكُونَ عِندمَا تَلاه عليهِمْ وبشَّرهمْ وَأنْذرَهُمْ، فَقَالُوا: إنَّ القُرآنَ مِنْ تأليفِ مُحمدٍ، وَيُعلِّمُه لهُ بَشَرٌ، إلَى آخرِ مَا زَعَمُوا هُمْ مِنْ كَذِبٍ وافْترَاءٍ.



اجتمعت الأسرة بعد تناول طعام العشاء لسماع القرآن الكريم

قَالَتْ إِيمَانُ: إِنَّ الآيَاتِ الَّتِى اسْتمعْنَا إِلِيْهَا الآنَ تُوحِى لَنَا بتلْكَ المعَانِى الَّتِى يقُولُها أَبِى، وَيَبْدُو أنَّ تكذِيبَ المشرِكِينَ للقُرآنِ، وَرَدَّهُ عليْهِمْ، وتحدِّيه لهمْ، كَانَ يمثِّلُ قَضِيَّةً كُبْرَى فِى ذَلِكَ الوَقْتِ، ولا شَكَّ أنَّ الوَالِدَ الكرِيمَ يَعْرِفُ شوْقَنَا لمعْرِفَةِ هَذِهِ القَضَايَا الَّتِى تُعْطِينَا الثِّقَةَ فِى دِينِنَا، وتُزَوِّدُنَا بعلْمِ مَا مَضَى مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، فَهَلْ عِنْدَ الوَالِدِ مَا يروِيهِ لَنَا فِى لَيْلَتِنا هَذِهِ عَنْ تِلْكَ القَضِيَّةِ؟

قَالَ الوَالِدُ: أَسْمِعِينِى يَا إِيمَانُ - أوَّلاً - هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِى أوْحَتْ إِليْكِ بِهذِهِ الفِكْرَةِ، نَتأمَّلُها مَعًا، ونَرَى مَاذَا يُمْكِنُ أنْ نَقُولَ فِيهَا.

قَالتْ إِيمَانُ: هِىَ قَوْلُ اللَّهِ تعَالَى فِى سُورَةِ يُونُسَ: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)**﴾ [يونس].

قَالَ الوَالِدُ: صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ، إِنَّ اللَّهَ أنزلَ القُرآنَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ، وجَعَلَهُ المعْجِزَةَ الخَالِدَةَ الَّتِى لا يَنْتَهِى أَثَرُهَا مَدَى الزَّمَانِ.

وقبْل أنْ تَسألَنِى إِيمَانُ عَنْ مَعْنَى المعْجِزَةِ أَقُولُ: إِنَّ الْمعجزَةَ هِىَ شَىْءٌ خَارِقٌ لِلعَادَةِ يُجرِيهِ اللَّهُ سبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَى يَدِ بَشَرٍ يَدَّعِى النُّبوةَ تَصْدِيقًا لَهُ فِى دَعْوَاهُ.

قَالَتْ إِيمَانُ: ولكنِّى سَأَسْأَلُ أيضًا: مَا مَعْنَى خَارِقٌ للعَادَةِ؟

قَالَ الوالِدُ: خَارِقٌ للعَادَةِ، أىْ خَارِجٌ عَنْ حُدُودِ الأسبَابِ الطَّبيعيَّةِ الَّتِى يَعْرِفُها البَشَرُ لحدُوثِ الأشْيَاءِ. وسُمِيِّتْ معْجِزَةً لعدَمِ قُدْرَةِ الأفْرادِ، وَعَجزِهِمْ عَنِ الإتْيَانِ بمثْلِهَا. والقُرآنُ مُعجزٌ لأنَّهُ قَدْ ثبتَ عجزُ البَشَرِ، وعدَمُ قدرتِهِمْ عَلَى الإتْيانِ بمثْلهِ.

قَالَ أشْرَفُ: وَهَلْ كانَ للأنْبياءِ السَّابِقِينَ قبْلَ محمدٍ ﷺ مُعجزاتٌ تحدَّوْا بِهَا أقوامَهُمْ أيْضًا؟

قَالَ الوَالِدُ: نَعَمْ، إبرَاهِيمُ عليْه السَّلامُ أَلْقَى بِهِ قَوْمُهُ فِى النَّارِ وَهُوَ مكتُوفٌ، فقالَ اللَّهُ للنَّارِ: كُونِى بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فكَانَتْ بَرْدًا وسَلامًا. ومُوسَى عليْهِ السَّلامُ أرسَلَهُ اللَّهُ فِى عصْرٍ كَانَ للسِّحْرِ والسَّحرةِ فِيهِ شَأنٌ كَبيرٌ، وكَانَ مِنْ عَادَةِ السَّحَرَةِ أنْ يُلْقُوا حِبَالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ، فإِذَا بِهَا حَيَّاتٌ وثَعَابِينُ، فكَانَتْ مُعجِزَةُ موسَى عليْهِ السَّلامُ أنْ يُلقِىَ عَصَاهُ فَتصِيرَ حَيَّةً ضَخْمَةً تأكُلُ مَا أَتَوْا بِهِ. وَعِيسَى علَيْهِ السَّلامُ يُقَالُ أنَهُ جَاءَ فِى وَقْتٍ اشْتَهَرَ فِيهِ الطِّبُّ والأطبَّاءُ فكانَتْ مُعجِزَتُهُ خَارِقَةً للعَادَةِ بإِحيَاءِ الموْتَى، وشِفَاءِ الأعمَى والأبْكَمِ والأبْرَصِ، تِلْكَ الأمْرَاضُ الَّتِى عَجزَ الأطبَّاءُ عَنْ عِلاجِهَا، وَهَكَذَا كَانَتْ مُعجِزَةُ النَّبِىِّ ﷺ خارِقَةً للعَادَةِ، إِذْ بعثَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَى فِى قَوْمٍ وصَلُوا القِمَّةَ فِى البَلاغَةِ والبيَانِ، فكَانَ لا بُدَّ أنْ تَجِىءَ مُعجِزَتُهُ مِنْ نَفْسِ النَّوعِ المشْهُورِ عنْدَ قوْمِهِ. غَيْرَ أنّ هُنَاكَ فَرقًا كَبيرًا بَيْنَ معجزَاتِ الأنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، ومعْجِزةِ محمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ معجزَاتِهِمْ كَانَتْ مُعجزَاتٍ حِسيَّةً


أشعل الكفار النار وألقوا سيدنا إبراهيم
عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها
كانت برداً وسلاماً

يَرَاهَا النَّاسُ فِى وقْتها ثُمَّ تَنْتَهِى وَلا يَرَاهَا سِوَى مَنْ حَضَرَهَا، أمَّا القُرآنُ الكرِيمُ فَهُو بَيْنَ أَيْدِى النَّاسِ يَتْلوهُ المسْلمُون ويسمَعُونَهُ علَى مَدَى الزَّمانِ كُلِّه فيحسُّونَ بحلاوَتِهِ ويَشْعُرونَ ببلاغَتِهِ، ويصَدقُونَ بإِعجَازِهِ الَّذِى يَظْهَرُ منْهُ الكَثِيرُ كلَّما تَقَدَّمَ الزَّمَانُ.

قَالَ أيمَنُ: وَلكنْ كَيْفَ ظهرَ إِعجَازُ القُرآنِ فِى وَقْتِهِ؟ ولماذَا لمْ يُؤمِنْ بِهِ أهْلُ مَكَّةَ لأوَّلِ مَرَّةٍ سمِعُوهُ فِيهَا.. ألمْ يُؤمِنُوا بِهذَا الإِعْجازِ؟

قَالَ الوَالِدُ: اسْمَعُوا هَذِهِ القِصَّةَ، عِندَ بدء نُزولِ القرآنِ الكرِيمِ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ، كَانَ أبُو سُفيانَ بن حَرْبٍ، وَأبُو جهْل بن هِشَامٍ، والأخْنَسُ بنُ شُرِيقٍ مِنْ عُتاةِ المكذِّبِينَ للنَّبِىِّ ﷺ وما جَاءَ بِهِ، وَقَدْ خرَجَ الثَّلاثَةُ ذاتَ لَيْلَةٍ ليسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيلِ فِى بَيْتِهِ، وَجَلَسَ كُلُّ واحِدٍ منْهُمْ فِى مَكَانٍ خَفِىٍّ وهُوَ يَظُنُّ أنْ ليسَ هُناكَ غيرُهُ يَستَمِعُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ، وبَاتُوا يسْتَمِعُونَ قِراءَةَ النَّبِىِّ حَتَّى طلعَ الفَجْرُ فخرجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ المَكَانِ الَّذِى كَانَ جَالِسًا فِيهِ فجمعَهُم الطَّرِيقُ وعَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمْ أيْنَ كَانَ الآخَرَانِ، فَلام بَعْضُهمْ بَعْضًا علَى ما فَعَلُوا وقَالَ كُلٌّ منْهم للآخَرَيْنِ: لا تَعُودُوا، فَلَوْ رآكمْ أحد سُفهَائِكُمْ لأوْقَعْتُمْ فِى نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصرفُوا، وقَدْ تعاهَدُوا عَلَى ألا يعُودُوا خَشْيَةَ أنْ يَراهُمْ أحَدٌ فيظُنُّ أنَّهُمْ قَدْ أسلَمُوا ولكنَّهُمْ يُخفونَ إِسْلامهمْ، فماذَا تَظنُّونَ مَا حَدَثَ بَعْد تَعاهُدِهِمْ هَذَا؟

قَالَ الأوْلادُ مَعًا: لعلَّ كُلا مِنْهُمْ خَشِىَ أنْ يَرَاهُ الآخَرَانِ فَلَمْ يَعُدْ يَذْهَبُ لسمَاعِ القُرآنِ مِنَ النَّبِىِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قَالَ الوَالِدُ: لا، بلْ حدَثَ العَكسُ، فَفِى اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ منهمْ متخفِّيًا يتلفَّتُ حولَهُ، حَتَّى وَصَلَ المكَانَ الَّذى كَانَ فِيهِ فِى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ وجَلَسَ يَستمِعُ القُرآنَ حَتَّى إذَا طلعَ الفَجْرُ تفرَّقُوا، فجمعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لبعْضٍ كمَا قَالُوا أوَّلَ مرَّةٍ، ثُمَّ انصرَفُوا، فَهَل تَعْتَقِدُونَ أنَّهُمْ وَفُّوا بوُعُودِهِمْ بَعْضِهِمْ لبعْضٍ؟

قَالَتْ إِيمَانُ: وَمَاذَا فَعَلُوا:

قَالَ الوَالِدُ: للمرَّةِ الثَّالِثَةِ ذَهَبُوا فِى اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، أخَذَ كُلٌّ مِنْهُم مجلسَهُ وبَاتُوا يَستمعُونَ القُرآنَ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، تفرَّقُوا فجمعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بعْضهمْ لبعْضٍ: لا نبرحْ، ولا نَتركْ مكانَنَا الَّذِى نَحنُ فِيهِ الآنَ حَتَّى نتعاهَدَ ألا نَعودَ عَلَى ذَلِكَ. فتعَاهَدُوا، ثُمَّ تفرَّقُوا.

قَالَ أشْرفُ: والتَّالْتة تَابْتَه، كما يُقَالُ، وطبْعًا لمْ يَعُودُوا بَعْدَهَا.

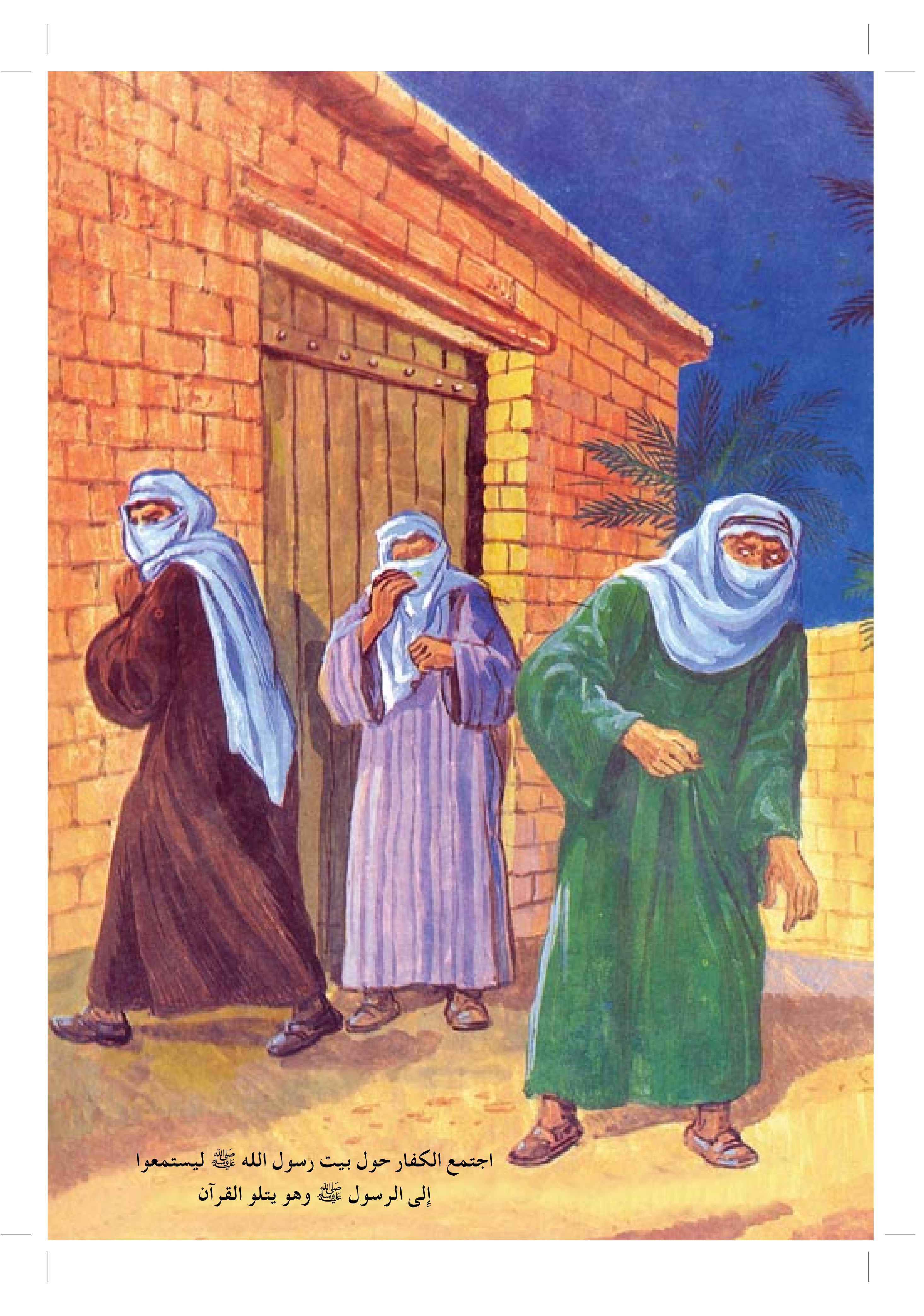
قَالَ الوَالِدُ: همْ لَمْ يَعُودُوا فِعْلاً، ولكنْ حَدَثَ مَا هُوَ أخْطَرُ منْ عَوْدَتِهِمْ، فقدْ ذَهَبَ الأخْنَسُ بنُ شُرِيقٍ إِلَى أَبِى سُفْيَانَ فِى دَارِهِ، فَقَالَ: أخبرْنِى يا أبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رأيِكَ فيما سَمِعْتَ منْ مُحَمَّدٍ. فقَالَ أبُو سُفْيان: يَا أبَا ثَعْلَبَةَ، واللَّهِ لَقَدْ سمعْتُ أشْيَاءَ أعرِفُهَا وأعْرِفُ ما يُرادُ بِهَا، وسمِعْتُ أشياءَ ما عرفْتُ معنَاهَا ولا مَا يُرَادُ بِهَا. قَالَ الأخْنَسُ: وَأنَا وَالَّذِى حَلَفْتَ بِهِ، يَعْنِى أنَّهُ هُوَ أيْضًا فَهِمَ مِنَ القُرآنَ بَعْضَ الأَشْيَاءِ وجَهِلَ بَعْضَ الأشْيَاءِ، ولعلَّ الأيَّامَ تعلِّمُهُمْ ما لمْ يَعْلَمُوا.

ثُمَّ ذَهَبَ الأَخْنَسُ إِلَى أبِى جَهْلِ بنِ هِشَامٍ فِى بَيْتِهِ، فَقَالَ: يَا أبَا الحكَمِ، مَا رَأيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحمَّدٍ؟ فَقَالَ أبُو جَهْلٍ: مَاذَا سَمِعْتُ، تَنَازَعْنَا نَحْنُ وبَنُو عبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأطْعَمْنَا، وحَمَلُوا فحملْنَا، وأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَحاذَيْنَا عَلَى الرّكبِ، وكُنَّا كَفَرَسَىْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِىٌّ يَأتِيهِ الوَحْىُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ واللَّهِ لا نُؤْمِنُ بِهِ أبَدًا ولا نُصَدِّقُهُ. فَقَامَ عَنْهُ الأَخْنَسُ وتَرَكَهُ.

قَالَتْ إِيمَانُ: هَذَا كَلامٌ يحتَاجُ إِلَى تَوْضِيح.

قَالَ الوَالِدُ: توضيحُ هَذَا الكَلامِ أنَّ المسْأَلَةَ كَانَتْ فِى نَظَرِ أَبِى جَهْلٍ مَسْأَلَةَ كِبريَاءٍ، ومُنافَسةٍ على المكَانَةِ والشَّرفِ بَيْنَ العَرَبِ، والنَّبِىُّ ﷺ مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ، كَانُوا يُطعِمُونَ النَّاسَ فأطعَمَ العَرَبُ مثلَهُمْ ليشْتَهِرُوا بالكَرَمِ كمَا اشْتَهَرُوا، وحمَلُوا النَّاسَ أىْ جَهَّزُوا لَهُمْ ركائِبَ السَّفَرِ، أو حمَلُوا عَنْهُمُ الدُّيُونَ والغَرامَاتِ، فَفعَلَ العَرَبُ مثلَهُمْ لِيَشْتَهِرُوا بالإِحْسَانِ كمَا اشْتَهَرُوا، وَأَعْطُوا أمْوالَهُمْ للمحتَاجينَ مَعونَةً وكَرمًا فأعْطَى العَرَبُ مثلَهُمْ، حَتَّى إِذَا تَساوَوْا وصَارُوا كفرَسَيْن يتسابَقَانِ فى المضْمَارِ فَلا يسبِقُ واحدٌ منهُمَا الآخَر، يَأتِى نَبِىٌّ مِنْ بَنِى عَبدِ مَنَافٍ فيرفعُهُمْ إِلَى مَرتَبةٍ عَاليةٍ شرِيفَةٍ بَيْنَ العربِ لا يمكنُ لأحَدٍ أنْ يَصِلَ إِليْهَا، ولا يَنَالُ شَرَفَهَا، وبسَبَبِ هَذَا التَّنَافُسِ والكبرِيَاءِ أقْسمَ أبُو جَهْلٍ ألا يؤْمِنَ بما جَاءَ بِهِ مُحمَّدٌ ﷺ.

* * *



اجتمع الكفار حول بيت رسول الله ﷺ ليستمعوا
إلى الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن

(٢)

قَالَ الوَالِدُ: وَاسمعُوا هذِهِ القِصَّةَ الأُخْرَى، كَانَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ سَيِّدًا فِى قَوْمِهِ، قَالَ يومًا وهُوَ جَالِسٌ فِى نَادِى قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جالِسٌ فِى المسْجِدِ وَحْدَهُ، قَالَ عُتْبَةُ: يَا معشرَ قُرَيشٍ، ألا أَقُومُ إِلَى مُحمَّدٍ، فأكلِّمَهُ وَأعرِضَ عليْه أمُورًا لعلَّه يَقبلُ بَعْضَهَا فَنعْطِيهِ مِنْهَا مَا يشَاءُ، ويسْكُتُ عَنَّا؟ فَقَالُوا: قُمْ يا أبَا الولِيدِ إِليْهِ فكلِّمْهُ، فقَامَ عُتبةُ وذَهَبَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فجلَسَ أمَامَهُ وقَالَ: يا ابْنَ أخِى إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلمتَ مِنَ الشَّرَفِ والمكَانَةِ فِى قَوْمِكَ، وَمِنَ المكانِ فِى العَشِيرةِ والنَّسَبِ، وإِنَّكَ قدْ أتيتَ قَوْمَكَ بأمْرٍ عَظِيمٍ، فَرَّقْتَ بِهِ جماعَتَهُمْ، وسَفَّهْتَ بِهِ أحْلامَهُمْ – أى اتَّهمتَ عُقُولَهُم بالسَّفَاهَةِ وعدَمِ الاهتِداءِ إِلَى ما هُوَ صَواب وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ، وكفَّرتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبائِهِمْ، فاسْمَعْ مِنِّى أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنظُرُ فِيهَا لعلَّكَ تَقبلُ مِنْها بَعْضَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ يَا أبَا الوَلِيدِ أسمَعْ.

قَالَ عُتبةُ: يا ابنَ أخِى، إِنْ كُنتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الأمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تكونَ أكْثَرَنَا مَالاً، وإِنْ كنتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لا نَقْطَعَ أمْرًا دُونَك. وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا ملَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وإِنْ كانَ هَذَا الَّذِى يَأتِيكَ رِئْيًا لا تَستطيعُ لَهُ دَفْعًا – يَعْنِى خَيالاً مِنَ الجِنِّ يُرغِمُكَ عَلَى مَا تَقُولُ – طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وبَذَلْنَا فِيهِ أموَالَنَا حَتَّى نُبرِئَكَ مِنْهُ، فإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ.

وَلَمَّا فَرَغَ عُتبَةُ مِنْ كَلامِهِ قَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ: أَقَدْ فَرغْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ.. قَالَ النَّبِىُّ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ فاسْمَعْ مِنِّى.

قَالَ عُتْبَةُ: هَأنذَا أسْمَعُ.

فبدأ النَّبِىُّ ﷺ يَقْرأُ: «بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ﴿**حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ... (٥)**﴾ [فصلت] ثُمَّ مَضَى الرَّسُولُ ﷺ يَقْرَأُ الآيَاتِ مِنْ أوَّلِ سُورَةِ فُصِّلَتْ، فلمَّا سَمِعَها مِنْهُ عُتبةُ أنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْه خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعتمِداً عليْهَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا فسجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يا أبَا الوَلِيدِ مَا سمِعْتَ فأنْتَ وذَاكَ.

يعنِى: إنَّكَ قَدْ جِئتَ تُساوِمُنِى عَلَى تَرْكِ الدَّعْوةِ إِلَى اللَّهِ فِى مُقَابِلِ شَىْءٍ أنَالُهُ منَ الدُّنْيَا، ولَيْسَ عِنْدِى لَكُمْ جَوَابٌ إلا مَا تسمَعُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّه، فَأنْتُمْ وَرأيكُمْ، مَنْ شَاءَ فَليؤْمِنْ ومنْ شَاءَ فليكْفُرْ، وَأنَا لا أسْألكمْ عَلَيْهِ أجْرًا إِنْ أجْرِىَ إلا علَى اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

قَالَتْ إِيمَانُ: ومَاذَا فَعَلَ عُتبةُ عِنْدمَا عَادَ إِلى قَوْمِهِ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ نَظَرَ إِليْه أصْحابُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ نَحوَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبعْضٍ: نَحلفُ باللَّهِ، لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الوَلِيدِ بغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِى ذَهَبَ بِهِ، يَعنُونَ أنَّهُ كَانَ

ذَاهبًا مُتَحمِّسًا لمقَابَلَةِ النَّبِىِّ وَمُفَاوَضَتِهِ فِى الأمْرِ، ولكنَّهُ يَعُودُ فَاترَ الهِمَّةِ لا تَبْدُو عليْه مظَاهِرُ الاهتمامِ الَّتى كَانَ يُبْدِيهَا، فلمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِى أنِّى قَدْ سمِعْتُ قَولاً واللَّهِ ما سَمِعْتُ مثلَهُ قَطُّ، واللَّهِ مَا هُوَ بالشِّعْرِ، وَلا بالسِّحْرِ، وَلا بالكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، أطِيعُونِى واجْعَلُوهَا بِى، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعتَزِلُوهُ، فواللَّهِ لَيَكُونَنَّ لقَوْلِهِ الَّذِى سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فإِنْ تُصِبْهُ العَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيرِكُمْ، وَإِنْ ظهرَ علَى العربِ فملكُهُ ملكُكُمْ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وكُنْتُمْ أسْعَدَ النَّاسِ بِهِ.

قالُوا: سحَرَكَ واللَّهِ يا أبَا الوَلِيدِ بلسانِهِ.

قالَ: هَذَا رَأيِى فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ.

واستطردَ الوالِدُ يَقُولُ: مِنَ اللافتِ لِلنَّظَرِ أنَّ الآيَاتِ الَّتِى تَلاهَا النَّبِىُّ ﷺ علَى مسامِعِ عُتْبَةَ تبدأُ بقولِ اللَّهِ تعالَى: ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)** ﴾ .

وَكأنَّ الآيَاتِ تُشِيرُ إِليهِمْ بأنَّهُمْ عَرَبٌ، وقَومٌ يَعلَمُونَ أسْرارَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَأسَالِيبَهَا، وَبَلاغَتَهَا، فهذَا القُرآنُ أيْضًا عَرَبِىٌّ، بلغتِكُمْ الَّتى تتحدَّثُونَ، وبأسَالِيبكُمْ الَّتى تَعْلَمُونَ، وبأوْجُهِ بَلاغَتِكُمْ الَّتِى تَعْرِفُونَ، فَهَلْ تَقْدِرُونَ أنْ تَأتُوا بعشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفتَرَيَاتٍ، إِنْ كُنتمْ صَادِقِينَ فِى دَعْوَاكُمْ أنَّهُ مُفْتَرًى، وَأنَّ محمَّدًا اخْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَألَّفَهُ كما يُؤلِّفُ الشُّعَرَاءُ مِنْكُمْ قَصَائِدَ شِعْرِهِمْ.

أَيَقُولُونَ أنَّ القُرآنَ مِنْ تأليفِ مُحمدٍ ﷺ ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)** ﴾ [الطور] لَقَد اسْتَمَعْتُمْ إِلَى الكَثِيرِ مِنْ سُورِ القُرآنِ، ولكنكمْ لا تُؤْمِنُونَ ولا تزَالُونَ تكذِّبُونَ، وتَقولُونَ أنَّه حَديثٌ مفتَرًى ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ... (١٣)** ﴾ [هود] ويَوْمًا بَعْدَ يَومٍ تَتنزَّلُ آياتُ القرآنِ تتحَدَّاهُمْ، وهُمْ لا يَزَالُونَ فِى الغَىِّ والضَّلالِ يَعْمَهُونَ، يقُولُونَ ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٣١)** ﴾ [الأنفال] ويُعَاوِدُ القرآنُ التَّحدِّى فمَا الَّذى يَمنعكُم أنْ تَقُولُوا مِثْلَ هَذَا، أَلا تَزَالُونَ فِى رَيْبٍ مِنْه ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ [البقرة].

لقدْ وَصَلَ التَّحَدِّى إِلَى أنْ يَطْلُبَ القُرآنُ مِنْهُمْ أنْ يَأتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ أَقْصَرِ سُورةٍ مِنَ القُرآنِ، ثُمَّ قَدَّمَ لهمُ التَّحَدِّى فِى نَفْسِ الآيَة بأنَّهُمْ لَنْ يَفعلُوا، هَكَذَا نُصِبَ الفِعْلُ بحرْفِ «لَنْ» وَهُوَ حَرْفٌ تَقُولُ عَنْهُ اللُّغَةُ أنَّهُ حَرْفُ نَفيٍ ونَصْبٍ وَاسْتِقْبَالٍ، أىْ نَفْىُ مَعْنَى الفِعْلِ، وَأنَّ هَذَا النَّفْىَ مُسْتَمِرٌّ أبَدًا فِى المسْتقبلِ وَلا يمكِنُ لهذَا الفِعْلِ المنْفِىِّ أنْ يَحدُثَ مَهمَا مَضَتِ الشُّهُورُ والأعْوامُ.

قالَ أشْرَفُ: ولكنْ كَيْفَ يَتَّهمُونَ النَّبِىَّ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بأَنَّهُ يُؤَلِّفُ هَذَا الكِتَابَ الكَرِيمَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّهُ أمِّىٌّ لا يَقْرأُ وَلا يَكْتُبُ، أَلَيْسَ هَذَا تَنَاقُضًا فِى الآرَاءِ، وسَفَاهَةً فِى التَّفْكِيرِ؟


اجتمعت قريش للتفاوض على
الذهاب إلى الرسول ﷺ أملاً فى أن
يترك دعوته

قَالَ الوَالِدُ : يَبْدُو أَنَّهُمْ تَنَبَّهُوا لِهذَا التَّنَاقُضِ، فَأرادُوا أنْ يخرُجُوا منْهُ، فوقَعُوا فِى تَنَاقُضٍ أشَدَّ مِنْهُ وَأَشْنَعَ. لَقَدْ كَانُوا يَتَتَبَّعُونَ النَّبِىَّ ﷺ، لِيَعْرِفُوا أَيْنَ يَجْلِسُ وَمَنِ الَّذِى يُصَاحِبُهُ، فوَجَدُوهُ يَجْلِسُ فِى بَعْضِ الأحْيَانِ عِنْدَ غُلامٍ نَصْرَانِىٍّ اسْمُهُ جَبْر، كَانَ أعْجمِيًّا، لا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ اللُّغَةِ العربيَّةِ إلا بِقَدْرِ ما يتَفَاهَمُ مَعَ النَّاسِ الَّذِينَ يَبِيعُ لَهُمْ أوْ يَشْتَرِى فَقَالُوا، إِنَّمَا يَأتِينَا محمدٌ بأسَاطِيرِ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِى تُمْلَى عَلَيْه بكْرَةً وَأَصِيلاً. وإِنَّ الَّذِى يُمْلِى عَلَيْهِ هَذِهِ الأسَاطِيرَ هُوَ جَبْر، الَّذِى يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، وَقَالَ آخَرونَ: لا، إِنَّهُ يَدْخُلُ بَيْتَ بَلعَامَ، ذَلِكَ المعلِّمُ اليَهُودِىُّ، إِنَّ محمداً يتعلَّمُ مِنْهُ ما جاءَ فِى الكُتُبِ السَّابِقَةِ ثُمَّ يأتِى ليقرَأَهُ علينَا مُدَّعِيًا أنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّهِ الَّذِى يَزْعُمُ، وكَانَ تَنَاقُضُهُمْ فِى ذَلِكَ الزَّعْمِ أوْضَحَ مِنْ أنْ يُصَدِّقهمْ إِنْسَانٌ، فسواءٌ كَانَ النَّبِىُّ ﷺ مَعَ جَبْر الفَتَى النَّصْرانِىِّ، أوْ بَلعَامَ المعلِّمِ اليهودِىِّ، فَإِنَّ كُلا مِنْهُمَا كَانَ أعْجمِىَّ اللِّسَانِ، لا يَعْرِفُ مِنَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ إلا بِقَدْرِ التَّفَاهُمْ مَعَ الآخَرِينَ، فكيْفَ يَتَسَنَّى لأىٍّ مِنْهُمَا أنْ يُعلِّمَ محمداً ﷺ ذَلِكَ الذِّكْرَ الحَكِيمَ النَّاطِقَ بلسَانٍ عربىٍّ مُبِينٍ.

ونزلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِى سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)** ﴾ [النحل] لقدْ كانَ مَثَلُهُمْ فِى ذَلِكَ الزَّعْمِ كمنْ يُرِيدُ أنْ يعلِّمَ ابْنَهُ اللُّغَةَ العربيَّةَ، فَيَأتِيه بمدَرِّسٍ مِنْ بَارِيسَ مَثَلاً، لا يَعْرِفُ إلا اللُّغَةَ الفَرَنْسِيَّةَ، فهلْ يُصَدِّقُ عَاقِلٌ أنَّ المدرسَ الفرنْسِىَّ يمكِنُ أنْ يُفيدَ التِّلميذَ المصْرِىَّ أىَّ فَائِدَةٍ فِى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ؟

قَالَتْ إِيمَانُ: طَبْعًا لا.

قَالَ الوَالِدُ: وَهَكَذَا رَدَّ عليْهِمْ القُرآنُ الكرِيمُ ليُبَيِّنَ لهُمْ جَهلَهُمْ وسَفَاهَةَ تفكيرِهِمْ، وَأنَّهُمْ مَهْمَا جَاءُوا بآراءٍ يَرُدُّونَ بِهَا عَلَى تحدِّى القُرآنِ الكرِيمِ، فَلَنْ يَجِدُوا لأنْفُسهِمْ مخرَجًا مِنَ الكَذبِ الَّذِى قَدْ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الجُنُونِ.

ثُمَّ تأتِى آيَةٌ فِى قِمَّةِ التَّحَدِّى، تَقُولُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا أنَهُمْ لا يمكِنُهُمْ أنْ يَأتُوا بمثْلِ هَذَا القُرآنَ، إِذْ ينزِّلُ اللَّهُ سبْحانَه وتعَالَى قولَهُ فِى سُورَةِ الإِسْرَاءِ: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (٨٨) ﴾ [الإسراء] يَعْنِى أنَّ الجنَّ والإِنْسَ جَمِيعًا لَو اجْتمعُوا وعَاوَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِى تَأليفَ قَوْلٍ مِثْلِ القُرآنِ فلنْ يمكنَهُمْ ذَلكَ مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ وَإِلَى الأبَدِ، وهَكَذَا يَظْهَرُ إِعجَازُ القُرآنِ الكَرِيمِ فِى نظْمِهِ وبَلاغَتِهِ، وَسَوْقِ الأدِلَّةِ القَاطِعَةِ عَلَى أنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ المنزَّلِ عَلَى خَاتَمِ الأنْبِيَاءِ مُحمَّد ﷺ.

قَالَ أيمَنُ: وَهَلْ إِعْجَازُ القُرآنِ الكريمِ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الحدِّ مِنْ رَوْعَةِ البَيَانِ، وَوُضُوحِ الألْفَاظِ، والأسلُوبِ الَّذِى لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ فِى شِعْرٍ وَلا فِى نَثْرٍ أمْ هُناكَ وُجوهٌ أخْرَى مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ يُمكِنُ أنْ تتكشَّفَ للمسلِّمينَ بأسْرارِ اللُّغَةِ؟

قَالَ الوَالِدُ: إِنَّ وُجوهَ الإِعجَازِ والتَّحَدِّى فِى القُرآنِ الكريمِ كَثِيرَةٌ، ولكنْ يمكِنُ تلْخِيصُهَا فِى النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

* نَظمُه البديعُ المخالِفُ لكلِّ ما عَهِدَتْهُ العَرَبُ مِنْ نَظمِ الكَلامِ شِعْرًا أَوْ نَثْرًا، ولِذَلِكَ قُلْنَا أنَّه مُعْجِزَةٌ، فَهُوَ خَارِقٌ لعَادَةِ العَرَبِ فِى نظمِ الكَلامِ، وأوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى النَّبِىِّ، فبيَّنَهُ للنَّاسِ وأظْهَرَ لَهُمُ التَّحَدِّى بِهِ، فلمْ يتمكَّنُوا مِنْ مُعارَضَتِهِ، فصدَقَ إِعْجازُهُ بذَلِكَ.

* كَمَا أنَّهُ جَاءَ بِتشرِيعٍ دَقِيقٍ كَامِلٍ ومُحْكَمٍ يَفُوقُ أىَّ تَشْرِيعٍ أوْ قَانُونٍ يَصنَعُهُ البشَرُ، ويأمُرُ المسْلمِينَ باتِّبَاعِهِ لأنَّهُ يضْمَنُ لهمُ السَّعَادَةُ فِى الدُّنْيَا والنَّجَاةَ فِى الآخِرَةِ؛ لأنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ الإِنْسَانَ يعلَمُ سرائِرَهُ، فَيصِفُ لَهُ مِنَ الأدْوِيَةِ الشَّافِيةِ الَّتِى هِىَ تشْرِيعاتُهُ العَادِلةُ ما يَصُونُ المجتمَعَ جَمَاعَاتٍ وَأفْرَادًا مِنْ كُلِّ عَبَثٍ أوْ فَسَادٍ إِذَا طبَّقَهُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى نَفْسِهِ، وتعامَلَ مَعَ النَّاسِ فِى سُلُوكِهِ اليَوْمِىِّ بمقْتضَاهُ.

* كَمَا أخبرَ عَنْ أشْيَاءَ غَيْبِيَّةٍ لا يمكِنُ لبشَرٍ أنْ يَعرِفَهَا إِلا عَنْ طَرِيقِ الوَحْىِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، مَثَلاً كَانَتْ هُنَاكَ حَرْبٌ بيْنَ الفُرسِ والرُّومِ، وهَزَمَ الفُرسُ الرُّومَ، فنزلَتْ آياتٌ تقولُ أنَّ الحرْبَ ستَعودُ مرَّةً أخْرَى بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ قَبْلَ أنْ يَنْقَضِىَ تِسْعُ سَنَواتٍ وسيَكُونُ النَّصْرُ فِيهَا للرُّومِ هَذِهِ المرَّةَ ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾** ﴾ [الروم] وكلمةُ بِضْع تَدلُّ علَى عَددٍ لا يزيدُ علَى التِّسْعَةِ، وقَدْ حَدَثَ مَا أنبأَتْ بِهِ الآيَاتُ وهَزَمَ الرُّومُ الفرسَ فِى معركَةٍ أخْرَى قَبْلَ مُضِىِّ تِسْعِ سِنِينَ.

* كَمَا أخْبَرَ عَنْ حَوادِثَ وَقعتْ فِى المَاضِىَ البَعِيدِ جِداًّ، وَهِىَ تَارِيخٌ صَادقٌ، مثلُ قِصَصِ الأنبيَاءِ مَعَ أقْوامِهِمُ الَّتى يَقُولُ القرآنُ عَنْهَا: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)** ﴾ [هود].

* إنَّ القُرآنَ الكريمَ لا يتَعَارَضُ مَعَ العُلُومِ الكَوْنِيةِ الَّتِى قَطَعَ العُلمَاءُ والعلمُ الحديثُ بصحَّتِهَا مثْل عُلومِ الفَلَكِ أوْ طَبَقَاتِ الأرضِ أو الطبِّ الجسدِّىِّ أو الطبِّ النفْسَانِىِّ.

* إنَّ القُرآنَ يَفِى بِحَاجَاتِ البَشَرِ، ويُسَايِرُ العَقْلَ، فليْسَ فِيهِ أمْرٌ أوْ نَهىٌ، أوْ قَضِيَّةٌ تُعارِضُ مَا يقُولُ بِهِ العَقْلُ الصَّحِيحُ المعْتدِلُ.

قَالَ أشْرَفُ: لقد رأيتُ كثيراً منَ الكُتبِ الَّتِى تتحدَّثُ عَنْ إعجازِ القرآنِ العددِىِّ، والكونُ والإعْجازُ العلمى للقرآن.. إلخ.

فهلا حدَّثنَا الوَالِدُ الكرِيمُ عَنْ هذه الأنواعِ مِنَ الإعْجازِ؟

قَالَ الوَالِدُ: هَذِهِ أشْيَاءُ كَثِيرَةٌ ولِلقَوْلِ فِيهَا مُتَّسعٌ، وقدْ آنَ لَنَا أنْ نَأوِىَ إلَى مَضَاجِعِنَا، وسَوْفَ يكونُ لَنَا أحاديثُ أخْرَى فِى اللَّيَالِى القَادِمة إنْ شَاءَ اللَّهُ، ولكنْ قَبْلَ أنْ نُغادِرَ مَجلِسَنَا إليْكُمْ هَذِهِ المعْلُومَةَ:

لَقَدْ قَسَّمَ العُلماءُ القُرآنَ الكريمَ إلَى ثَلاثِينَ جُزءًا، كل جزءٍ حِزْبَانِ فيكُونُ القرآنُ سِتِّينَ حِزْبًا، كُلُّ حِزْبٍ أرْبَعَةُ أرْبَاعٍ فيكونُ القرآنُ ٢٤٠ ربعًا.

قَالت إيمَانُ: ومِنْ هُنَا يُقالُ أنَّ القارِئَ قرأ رُبْعًا مِنَ القُرآنِ.

قَالَ الوَالِدُ: هَذَا صَحِيحٌ أىْ قَرأ رُبعَ حِزْبٍ. وتكملَةُ المعلُومَةِ الَّتى قَطَعَتْهَا إيمَانُ تَقُولُ: إنَّ عَدَدَ سُورِ القُرآنِ الكَرِيمِ ١١٤ سُورةً وعددُ آياتهِ ٦٢٣٦ آيةً، وعددُ كلماتِهِ ٧٧٤٣٧ كلمةً، وعددُ حُروفِهِ ٣٢٣٦٦٧١ حَرْفًا، هَكَذَا أحْصَاهَا العُلمَاءُ، وعلَّمونَا إيَّاهَا.

وَاقْرءُوا يَا أَبْنَائِى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾.

الأسئلة

١– كان القرآن يجذب المشركين إلى سماعه رغم عدم إيمانهم به، وتكذيبهم له، اذكر قصة تدل على ذلك.

٢– دار حوار بين عتبة بن ربيعة وقومه انتقل إلى النبى ﷺ، ماذا كانت نتيجة هذا الحوار؟

٣– كان النبى ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ورغم ذلك اتهمه المشركون بأنه يختلق هذا القرآن من عنده، فكيف أرادوا أن يخرجوا من هذا التناقض، وهل أفلحوا فى ذلك؟

٤– اذكر ثلاثة أوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٥– ما معنى قولنا قرأ القارئ ربعًا من القرآن، وما عدد الأرباع فى المصحف، وكم حزبًا فى كل جزء؟

درس النحو

مرت فى الدروس السابقة إِشارة إِلى الأسماء الخمسة، وهى كلمة: أبٌ، وأخٌ، وحَمٌ، وذُو، وَفُو، يعنى فَم.. إِذَا أضيفت لغير ياء المتكلم مثل: أبوكَ، أَبُوهَا، أَبُوهُ، أخوكَ، أَخُوهَا، أخُوه، هَذِه الأسماء الخمسة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء.

إِعراب الأفعال الخمسة

كما مر بك الأفعال الخمسة التى هى: يَفْعَلُونَ، وتفعلونَ، ويَفْعلانِ، وتَفعَلانِ، وتفْعَلِينَ. فكل فعل على وزن من هذه الأوزان يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها، نقول: همْ يكتبونَ، وأنتمْ تكتبُونَ، فى حالة الرفع: همْ لمْ يكتُبُوا فى حالة الجزم، همْ لَنْ يكتُبُوا فى حالة النصب، وسوف يكون لنا توضيحاتٌ أكثر فى الدروس القادمة.

وإِلى اللقاء يا أبنائي في القصة التالية

(وجاوزنا ببنى إِسرائيل البحر)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة